

في نور محمد فاطمة الزهراء

وما أن حلَّ الموسم حتَّى بلغ وفدهم إليه بالعقبة، حيث واعدوه، ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين، يمشون الخفاء، متستّرين بسجاف الليل[743]؛ خشية أن تظن قريش لهم، فتفسد عليهم سعيهم إلى اللقاء، وتمنعهم الاعتصام بكلمة الله. ولم يكن خبر قطّ هو أحلى لفاطمة من خبرهم إذ أقبلوا على أبيها، يبايعونه على الإسلام والنصرة والوفاء... فيومئذ بدأت خطوات الإعداد للجهاد بالكلمة والسلام. قالوا له: يا رسول الله، خذ لنفسك مذّاً ما شئت، واشترط لربّك علينا ما شئت. قال الرسول: «أشترط لربّي عزّ وجلّ أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، ولنفسي أن تمنعوني ممّا تمنعون منه أنفسكم وأبناءكم ونساءكم». قال قائلهم: فاذا فعلنا، فما لنا؟ قال رسول الله: «لكم الجنة...»[744]. فتسارعوا يجيبونه بالرضا والقبول: ربح البيع! وبايعوه على شرطه! وكيف لا يفعلون وما بخسهم ولا أخسرهم، وإنّما مكّن لهم في تجارة لن تبور! ثم نقب منهم نقباء: اثني عشر نقيباً، كلّ نقيب بمن وراءه رهين، بل في واقع الأمر كتّبتهم كتائب على أهبّة لخوض غمرة الوغى[745]، وللعمل في ساحة السلام. وقال للنقباء أولئك يعدّهم للغد القريب: «أنتم كفلاء على قومكم ككفالة الحواريّين لعيسى بن مريم، وأنا كفيل على قومي»[746]. وكانت لحظة للبشرية هي أعظم يُمنّا وخيراً وبركةً من ألف شهر. * * *